دور نائب الرئيس في صنع السياسة الخارجية الأمريكية
ديك تشيني أنموذجًا

د. فارس تركي محمود

مدرس / قسم السياسات العامة / مركز الدراسات الإقليمية / جامعة الموصل

dr.faris_turki@uomosul.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٦/٣ تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/ ٨/٥

مستخلص البحث

يعد هذا البحث الموسوم : " دور نائب الرئيس في صنع السياسة الخارجية الأمريكية ، ديك تشيني أنموذجاً " محاولة لدراسة جانب مهم من جوانب النظام السياسي الأمريكي والمتمثل بمنصب نائب الرئيس . حيث يتناول التوصيف الدستوري لهذا المنصب والصلاحيات والسلطات المتاحة له ويسعى إلى تشخيص الأسباب والدوافع الكامنة خلف هذا التوصيف والتأطير ، ويتطرق أيضاً إلى التطورات والتغيرات التي طرأت على المنصب ، لينتقل بعد ذلك لمناقشة وتحليل الظروف والعوامل التي مكّنت نائب الرئيس ريتشارد ديك تشيني من ممارسة نفوذ غير مسبوق على مجمل السياسة الأمريكية ، وتسليط الضوء على التأثير الكبير الذي تركه تشيني على السياسة الخارجية لإدارة بوش الابن وأهم النتائج والتداعيات التي ترتبت على ذلك سواء في المنطقة العربية أو على المستوى العالمي .

الكلمات المفتاحية : تشيني ، نائب الرئيس ، السياسة الخارجية

The Role of Vice President in the Making of American Foreign Policy Dick Cheney as study case

Dr. Faris Turky Mahmood

Lecturer / Regional Studies Center / Mosul University

dr.faris_turki@uomosul.edu.iq

Abstract

This research entitled : "The Role of Vice President in the Making of American Foreign Policy, Dick Cheney as study case " is an attempt to study an important aspect of the US political system which is represented in the Vice President position.

This paper examines the constitutional characterization of this position and the powers available to it, and seeks to identify the causes and motives behind this description and framing. It also discusses the developments and changes in the post and then moves on to discuss and analyze the circumstances and factors that enabled Vice President Richard Dick Cheney to exercise unprecedented influence on the whole of American policy, and highlight the great impact that Cheney left on the foreign policy of the Bush administration. and the most important results and consequences that resulted in this, both in the Arab region or at the global level.

Keywords: Cheney, Vice President, Foreign Policy

المقدمة

إن دراسة وتحليل النظام السياسي الأمريكي وآلية صنع القرار والعوامل والشخصيات التي قد تؤثر فيه تعد مطلباً ضرورياً جداً وذلك نظراً للمكانة والأهمية الكبيرة التي تتمتع بها الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح السياسي العالمي ونظراً للانعكاسات والنتائج التي تترتب على قرارها وتوجهها السياسي وبخاصة على العربي . ويعد منصب نائب الرئيس الأمريكي من المناصب المهمة والمؤثرة في صنع السياسة الخارجية وبخاصة إذا كان شاغل المنصب يتحلى بالخبرة والكفاءة اللازمة ، لذلك فإنه من الأهمية بمكان دراسة وتسليط الضوء على الدور الذي يمكن أن يقوم به نائب الرئيس على المستوى السياسي ، وهو ما يتوخاه هذا البحث .

في بداية البحث سيتم تسليط الضوء على منصب نائب الرئيس من حيث صلاحياته الدستورية وموقعه في النظام السياسي الأمريكي ، والغايات والأهداف التي كان يتوخاها المشرع الأمريكي من إيجاد هذا المنصب وبهذه المواصفات والصلاحيات . وسنحاول أن نتتبع وبشكل سريع التطورات التي طرأت على هذا المنصب وتزايد نفوذه بشكلٍ تدريجي . وفي المحور الثاني نحاول أن نرصد ونحلل أهم الأسباب والمعطيات التي جعلت الكثير من الباحثين والمختصين يصنفون تشيني كأقوى نائب رئيس في التاريخ الأمريكي ، سواء الأسباب المتعلقة بخبرته المتراكمة وتجربته السياسية الواسعة والطويلة ، أو الانسجام والتناغم بينه وبين باقي أركان وموظفي إدارة بوش الابن ، والاسباب الأخرى والمتمثلة بالصفات الشخصية للرئيس بوش الابن وضعف خبرته السياسية . أما المحور الأخير من البحث فسوف يتم تخصيصها لمتابعة وتشخيص الأثر والتأثير الذي تركه تشيني على السياسة الخارجية الأمريكية ، وتمكنه من جعل تلك السياسة أداة ووسيلة لتنفيذ المشروع الامبراطوري الذي طالما نظر له هو والكثير من أعضاء التيار اليميني المتشدد باهتمام بالغ ، ويتناول البحث كذلك أهم الإجراءات والقرارات التي اتخذتها ونفذتها إدارة بوش الابن وكانت بصمات نائب الرئيس واضحة فيها وأفكاره موجهة وهادية لها .

أولاً : دور نائب الرئيس في الدستور الأمريكي : نظرة تمهيدية

إن التركيبة السياسية لنظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية تركيبة معقدة ومتشعبة ومتداخلة ، وهذا التركيب والتشعب كان مقصوداً من قبل الآباء المؤسسين والمشرعين الذين وضعوا الدستور الأمريكي بهدف ضمان إيجاد نوع من التوازن بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وضمان عدم ظهور ديكتاتورية أو سلطة مستبدة تنفرد بالقرار السياسي وتفرض أفكارها ورؤاها على كل الأطراف الأخرى . وكذلك إيجاد نوع من التوازن بين صناع القرار داخل كل سلطة على حدة . لقد حرص المشرعون على إيجاد توازن مرن وتنافسي وليس توازناً جامداً ، بمعنى أنه توازن يتيح لكل أطراف العملية السياسية الدخول في حالة من التنافس المنضبط بآليات دستورية من أجل توسيع السلطات التي يتمتعون بها . وحرص المشرعين هذا كان نابعاً من إدراكهم أن التنافس الصحي هو الضمانة الأفضل لديمومة واستمرار وارتقاء العمل السياسي فالتنافس هو الشرط الأساسي لتطوير أي منتج سياسياً كان أم اقتصادياً . هذا فضلاً عن أن المجتمع الأمريكي مجتمع قائم على المنافسة وتصارع القدرات والإرادات الفردية والجماعية والبقاء فيه للأصلح ، وهذه الميزة التنافسية كان لا بد لها من أن تجد طريقها بشكل أو بآخر إلى التركيبة السياسية وآلية العمل السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية .

ويمكن النظر إلى منصب نائب الرئيس كواحد من الآليات التي تعزز فلسفة التوازن والتنافس ، إذ ووفقاً للدستور الأمريكي فإن تبوأ نائب الرئيس لمنصبه يتم بالطريقة ذاتها التي تتم بها عملية تبوأ الرئيس لمنصبه أي من خلال الانتخاب المباشر فالرئيس ونائبه يتم انتخابهما في بطاقة انتخابية واحدة تضم اسم الرئيس ونائبه ، ولا يمكن لأي مرشح أن يتقدم للانتخابات الرئاسية بدون أن يسمِّي نائباً له . واشترط الدستور أن يكون الرئيس ونائبه من ولايتين مختلفتين، والشروط المطلوبة للترشح لمنصب نائب الرئيس هي ذاتها المطلوبة للترشح

لمنصب الرئيس أي أن يكون أمريكي المولد، وأن يكون عمره (٣٥) سنة فما فوق ، وعاش خلال السنوات الـ(١٤) التي سبقت ترشحه على الأراضي الأميركية، والسبب في تطابق الشروط يعود إلى أن نائب الرئيس يمكن أن يتولى منصب الرئيس وفقاً للدستور الذي نص على أنه " في حال عزل الرئيس من منصبه، أو وفاته، أو استقالته، أو عجزه عن القيام بسلطات ومهام المنصب ، يؤول المنصب إلى نائب الرئيس"[١]. ووفقاً للدستور أيضاً فإن نائب الرئيس يتولى منصب رئاسة مجلس الشيوخ لكنه لا يشارك بالتصويت إلا في حال تعادل الأصوات عندها يكون صوته هو الصوت المرجِح[٢].

واستناداً لهذه التوصيفات الدستورية لمنصب نائب الرئيس يمكننا أن نتلمس وجود فكرة التوازن والتنافس بين ثناياها ، فهذه التوصيفات تجعلنا نستنتج ونفهم أن منصب نائب الرئيس محصَّن فالرئيس لا يستطيع إقالة أو تغيير نائبه بأي حالٍ من الأحوال ، ونائب الرئيس هو الموظف الوحيد في الفرع التنفيذي الذي يتمتع بهذه الحصانة . وبالرغم من أن الدستور لم ينص صراحةً على ذلك إلا أن هذه الحصانة يمكن استنتاجها من حقيقة أن نائب الرئيس منتخب حاله حال الرئيس ولم يتم تعيينه ، وبالتالي فهو يدين بمنصبه للناخب الأمريكي وهو مسؤول أمام الشعب وليس أمام الرئيس ، فضلاً عن أن نائب الرئيس هو الشخص المُعد والمؤهل دستورياً ليخلف الرئيس في حالة استقالته أو إقالته أو عجزه[٣]. فضلاً عن أن نائب الرئيس يشغل في الوقت ذاته منصب رئيس مجلس الشيوخ وأية محاولة من قبل الرئيس لإقالته تعد بمثابة تجاوز على استقلالية المجلس وهو أمر يرفضه الدستور رفضاً قاطعاً[٤].

والدستور أيضاً أعطى لنائب الرئيس منصباً آخراً وهو رئيس مجلس الشيوخ وبذلك يكون له منصبين أحدهما في الفرع التنفيذي والآخر في الفرع التشريعي الأمر الذي يمنحه مزيداً من القوة والنفوذ ومزيد من المرونة وحرية الحركة ، وعلى الرغم من أن الدستور لم يمنح أي دور تنفيذي لنائب الرئيس فهو يقوم بواجبات

يكلفه بها الرئيس ، إلا أنه بالمقابل لا يوجد أي حظر أو منع دستوري لتدخل نائب الرئيس في أي مفصل من مفاصل عمل السلطة التنفيذية سواء على مستوى السياسة الداخلية أو الخارجية[٥]. وإذا ما جمعنا كل هذه المعطيات لخرجنا بنتيجة مفادها أن صلاحيات نائب الرئيس لا يوجد لها سقف محدد ومعروف مسبقاً ، فهذه الصلاحيات يمكن أن تتوسع أو تتقلص اعتماداً على مدى التفاهم والانسجام والثقة ما بين الرئيس ونائبه ، وعلى الصفات التي يتحلى بها كلاهما من حيث قوة الشخصية والخبرة وشبكة العلاقات والقدرة على الإقناع وكسب مساحات إضافية من النفوذ .

لم يكن لنائب الرئيس في البداية أي دور يذكر حتى أنه كان يطلق على منصبه تسمية الوظيفة الفارغة أو الشاغرة (Empty Job)[٦]، وربما يكون السبب في ذلك إلى محدودية المسؤوليات التي كانت ملقاة على عاتق السلطة التنفيذية في الأعوام والعقود الأولى لتأسيس الجمهورية الأمريكية قياساً بما أصبحت عليه خلال القرن العشرين. حيث أن تزايد الأعباء والمسؤوليات الدولية للولايات المتحدة خلال ذلك القرن وعلى مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية رافقه زيادة ملحوظة في تنامي نفوذ وأهمية منصب نائب الرئيس وبخاصة مع دخول العالم مرحلة القطبية الثنائية وبروز نُذر الحرب الباردة ، لذلك نجد أن الرئيس دوايت آيزنهاور (Dwight David Eisenhower) (١٩٥٣–١٩٦١) عمد إلى توسيع صلاحيات ومسؤوليات نائبه ريتشارد نيكسون (Richard M. Nixon) وأشركه في اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية وفي النقاشات التي تدور حولها ، وقام بتكليفه بالعديد من المهام الدبلوماسية الخارجية إلى أكثر من خمسين دولة [٧] كان من بينها الاتحاد السوفيتي الهند وباكستان وايران ودول امريكا الجنوبية والشرق الأقصى وغيرها[٨]. كذلك عمل الرئيس جيمي كارتر (Jimmy Carter) (١٩٧٧–١٩٨١) على تدعيم منصب نائب الرئيس الذي كان يشغله حينها والتر مونديل (Walter Mondale) فأمر بإعطائه مكتب في

الجناح الغربي من البيت الأبيض وهو الجناح الذي يضم مكتب الرئيس ، وقام بدمج الطاقم الاداري الرئاسي مع الطاقم التابع لنائب الرئيس في فريق عمل واحد وتم توسيع طقم نائب الرئيس ليصبح ستين موظف[٩]، وكان موندیل يشترك في كل النقاشات السياسية وفي عملية اتخاذ القرار السياسي[١٠]. استمر منصب نائب الرئيس بمراكمة المزيد من اسباب القوة والنفوذ خلال إدارة بوش الأب وبيل كلينتون حتى وصل إلى أعلى درجات النفوذ والسطوة في إدارة بوش الابن عندما تولى المنصب تشيني كما سنبين لاحقاً .

ونتيجة للمسؤوليات المتزايدة لمنصب نائب الرئيس ظهر توجه منذ بداية عقد الستينيات من القرن العشرين لإضفاء طابع مؤسساتي عليه أي تحويله من مجرد وظيفة تنفيذية تابعة لمؤسسة الرئاسة إلى مؤسسة متكاملة وقائمة بذاتها ، ففي السابق كان مكتب نائب الرئيس عبارة عن غرفة تحمل الرقم (S – 214) تقع في مبنى الكابيتول قريبة من قاعة مجلس الشيوخ[١١]، إلا أنه ومنذ عام ١٩٦١ تم تخصيص بناية خاصة لنائب الرئيس وموظفيه عرفت باسم بناية المكتب التنفيذي تقع بالقرب من البيت الأبيض ، وفي عام ١٩٧٠ انشأ الكونغرس بنداً في الميزانية خاص بمكتب نائب الرئيس وقد وصلت هذه الميزانية في الوقت الحالي إلى حوالي (٣–٤) مليون دولار الأمر الذي مكَّن النائب من التحرر من الروتين الإداري وأعطاه مزيد من الحرية في التحرك والعمل وفي استخدام وتوظيف المزيد من المساعدين والمستشارين في مختلف المجالات [١٢] ، وتم تخصيص طائرة خاصة للنائب تسمى (Air Force Two) تمييزاً لها عن الطائرة الرئاسية (Air Force One)[١٣]، وفي عام ١٩٧٨ تم استحداث هيكل وظيفي خاص بالموظفين والمساعدين التابعين لنائب الرئيس[١٤] والذين وصل عددهم حوالي (٦٠) موظف فضلا عن مستشارين اضافيين في الشؤون الداخلية وقضايا السياسة الخارجية[١٥]، فكان لديه مستشارية متكاملة للأمن القومي ومستشارين وموظفين في مختلف المجالات مثل الأمن القومي والسياسة الخارجية والداخلية

والاقتصاد والشؤون العامة والإدارة والصحافة والشؤون القانونية والتعليمية وغيرهم العشرات من المستشارين والمساعدين[١٦]. وبذلك اصبح مكتب نائب الرئيس نسخة مصغرة من المكتب الرئاسي[١٧].

ثانياً : اسباب نفوذ وقوة ديك تشيني (Richard Bruce Cheney) •

يجمع أغلب المختصون والباحثون على أن تشيني يعد واحداً من أقوى نواب الرئيس في التاريخ الأمريكي إن لم يكن أقواهم على الإطلاق ، وقبل أن نتناول مظاهر وتجليات هذه القوة والتي ظهرت بأوضح صورها في فترة رئاسة بوش الابن علينا أن نحدد أهم الأسباب والعوامل التي تقف وراء هذه القوة والنفوذ.

أ – **الخبرة** : يتمتع تشيني بخبرة طويلة ومتراكمة في مجال رسم وتنفيذ السياسات، فقد انخرط في العمل السياسي لحوالي أربعة عقود تولى خلالها الكثير من المناصب المهمة والحساسة ففي عام ١٩٦٩ تم تعيينه في مكتب الفرص الاقتصادية[••] الذي كان بإدارة زميله دونالد رامسفيلد، ولم يكن عمر تشيني يتجاوز حينها الثامنة والعشرين عاماً[١٨]، وفي الوقت ذاته كان يعمل مستشاراً في مكتب السناتور تيد كينيدي (Ted Kennedy)[١٩]. وخلال الأعوام ١٩٧١ – ١٩٧٣ كان مساعداً لمدير مجلس تكلفة المعيشة (The Cost of Living Council) وهو المجلس المسؤول عن وضع البرامج الكفيلة بالارتقاء بالمستوى المعاشي للفقراء[٢٠] .

وعندما تولى رامسفيلد منصب كبير موظفي البيت الأبيض خلال الأعوام ١٩٧٣ – ١٩٧٥ أصبح تشيني نائباً له، وبعد أن انتقل رامسفيلد لشغل منصب وزير الدفاع حل محله تشيني بوصفه كبير موظفي البيت الأبيض واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٧٣. ليصبح بعدها مديراً للحملة الانتخابية للرئيس جيرالد فورد (Jerald Ford) (١٩٧٤–١٩٧٧)[٢١]. ومن الجدير بالذكر أن منصب كبير موظفي البيت الأبيض يعد من المناصب المهمة جداً وشاغله يعد الموظف الأعلى رتبة في البيت الأبيض فهو على احتكاك دائم بالرئيس من جهة وبكافة

مفاصل الفرع التنفيذي من جهة أخرى مما يمكنه من الاطلاع على كيفية صناعة وتوجيه وتنفيذ مختلف السياسات الداخلية والخارجية، علاوة على أنه يعد من المستشارين المقربين من الرئيس وهو على احتكاك يومي معه، ويقوم باختيار الموظفين الأساسيين في البيت الأبيض ، وينسق ما بين الرئيس والكونغرس ، وباختصار فإن هذا المنصب يعطي شاغله خبرة سياسية كبيرة جداً وشبكة واسعة من العلاقات مع صناع السياسة وخبرائها .

بعد خسارة جيرالد فورد لانتخابات عام ١٩٧٦ أمام المرشح الديمقراطي جيمي كارتر غادر تشيني البيت الابيض ، إلا أن غيابه عن المشهد السياسي الأمريكي لم يستمر طويلاً فبعد أقل من ثلاث سنوات عاد بقوة إلى الحياة السياسية لكن هذه المرة من بوابة السلطة التشريعية إذ تم انتخابه عام ١٩٧٩ نائباً عن ولاية وايومنغ (Wyoming) وبقي في هذا المنصب لمدة عشرة أعوام (١٩٧٩ – ١٩٨٩) اكتسب خلالها خبرة واسعة في العمل التشريعي وأصبح واحداً من الشخصيات المهمة والبارزة في الحزب الجمهوري[٢٢]، لذلك وقع الاختيار عليه لتولي منصب وزير الدفاع في إدارة جورج بوش الأب (George Herbert Walker Bush) (١٩٨٩– ١٩٩٣)[٢٣]، وقد واجه خلال هذه المدة الكثير من المصاعب ومر بتجارب على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية كان أهمها انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي واندلاع حرب الخليج الثانية . انتقل بعدها تشيني ليصبح المدير التنفيذي لواحدة من أكبر الشركات الأمريكية وهي شركة هاليبرتون (Halliburton) لخدمات الطاقة واستمر في هذا المنصب للمدة من عام ١٩٩٥ وحتى عام ٢٠٠٠[٢٤]. وبذلك يكون تشيني قد راكم قدراً كبيراً من الخبرة من خلال شغله مناصب مهمة في السلطة التنفيذية والتشريعية وفي قطاع المال والأعمال وهذه الميادين الثلاث تمثل المفاتيح الرئيسة التي تصنع وتوجه وتدير الحياة السياسية برمتها في الولايات المتحدة الأمريكية ، فليس من المستغرب أن يلعب

تشيني دوراً مهماً وجوهرياً في توجيه السياسة الخارجية لإدارة بوش الابن وبخاصة مع توافر عوامل ومعطيات أخرى .

ب ـ الكادر الرئاسي: لم يتوفر عبر تاريخ الولايات المتحدة لأيٍ من نواب الرئيس الأمريكي ما توافر لتشيني – بوصفه نائب الرئيس جورج بوش الابن – من حيث الكادر الإداري والوظيفي الذي خدم معه أو تحت إمرته فهذا الكادر كان مجيَّر لصالحه من أعلاه إلى أدناه وبخاصة في مفاصله الرئيسة وفي دوائر صنع القرار وبشكلٍ أخص في وزارة الدفاع والخارجية ومجلس الأمن القومي . فالصلات بين المسؤولين الرئيسيين في إدارة بوش الابن وبين تشيني صلات متجذرة وقوية جداً وتعود إلى سنين سابقة طويلة ، وحجم الانسجام الفكري بينهم يصل حد التطابق الكامل . إن تشيني ينتمي فكرياً إلى أصحاب المشروع الامبراطوري أو إلى أولئك الذين يمكن أن نسميهم بالفريق الامبراطوري مثل رامسفيلد وبوش الأب وكولن باول وجيمس بيكر وبرنت سكوكروفت وأقطاب الصناعة والمال ، وتتلخص رؤية هذا الفريق بضرورة العمل من أجل تحقيق الهيمنة الأمريكية على العالم بأسره باعتبارها إحدى استحقاقات ما بعد الحرب الباردة ، وبوصفها ثمناً للانتصار الأمريكي في تلك الحرب ، وترجمةً لصلاحية النموذج الأمريكي للقيادة العالمية . وهذا الفريق الامبراطوري يتمتع بعلاقات وتحالفات وثيقة جداً مع قادة تيار المحافظين الجدد مثل بول وولفويتز وريتشارد بيرل ودوغلاس فيث وجون بولتون وريتشارد ارميتاج وكونداليزا رايس وغيرهم ، إذاً فإن تشيني كان عضواً مهماً وبارزاً في الفريق الإمبراطوري وحليفاً موثوقاً لتيار المحافظين الجدد ، وإذا ما علمنا أن أغلب أعضاء إدارة بوش كانوا ينتمون إما للفريق أو للتيار سندرك حينها مدى القوة والنفوذ اللذين امتلكهما نائب الرئيس تشيني في تلك الإدارة . فقد تولى رامسفيلد منصب وزير الدفاع ، وأصبح وولفويتز نائباً له ، وريتشارد بيرل أصبح رئيساً لمجلس السياسة الدفاعية (Defense policy board) وهو من أهم المناصب وأخطرها في وزارة الدفاع[٢٥] ، بينما تولى كولن باول وزارة الخارجية

وريتشارد بيرل نائباً[٢٦]، أما مجلس الامن القومي فقد خضع بالكامل لنفوذ وسطوة كونداليزا رايس[٢٧].

ومما زاد من أهمية ونفوذ تشيني في الإدارة أن الرئيس بوش الابن لم يكن عضواً في أيٍ من الفريقين – الفريق الامبراطوري والمحافظون الجدد – ولم تكن له صلات قوية معهم الأمر الذي فسح المجال أمام تشيني ليصبح بمثابة عرَّابهم وقائدهم داخل الإدارة ، في حين تسبب للرئيس بوش الابن بنوع من العزلة ودفعه للاعتماد بشكلٍ اكبر على نائبه .

ج – شخصية بوش : تعد شخصية الرئيس جورج بوش الأبن وقلة خبرته السياسية من أهم الأسباب التي أسهمت في توسيع وزيادة نفوذ نائبه تشيني . فعلى المستوى الشخصي لم يستطع بوش أن يحقق أي نجاح يذكر وبقي حتى تجاوز الخامسة والثلاثين يعيش حياة عابثة لاهية وكان معروفاً بإدمانه على الخمر وبإثارته المشاكل والمشاكسات [٢٨] . وعندما ترك تلك الحياة تحول إلى شخص متشدد دينياً يؤمن إيمانا حرفيا بكل نصوص الكتاب المقدس ويرى في الدين عاملا أساسيا في كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأصبح خاضعاً بالكامل لرؤى وأوهام دينية تسيطر عليه وتوجه حياته بالكامل [٢٩] حتى أنه عندما قرر الترشح للانتخابات الرئاسية صرح قائلاً : " أشعر كأن الله يريدني أن أترشح للرئاسة ، لا أستطيع شرح ذلك لكني أحس أن بلدي يحتاجني . . . اعلم أن الأمر سوف لن يكون سهلا علي ولا على عائلتي ، لكن الله يريدني أن افعل ذلك " [٣٠] .

أما عن خبرة بوش في ميدان السياسة والعلاقات الدولية فقد كانت شبه معدومة وهناك الكثير من الأمثلة التي تؤكد هذا الفقر المعرفي للرئيس بوش فعندما سأله أحد الصحفيين في أيار / مايو عام ٢٠٠٠ عما اذا كان يعرف طالبان ؟ فأجاب بوش بأن هذا الاسم قد طرق مسامعه من قبل ، وأنه يعتقد أنه اسم فرقة (Rock and roll) أمريكية . وعندما طلب منه المراسل أن يذكر

أسماء عشرة قادة دول لم يستطع أن يذكر سوى اسم واحد فقط (٣١) . هذا فضلاً عن أن الرئيس بوش ووفقاً لدراسات علمية يعد من أقل الرؤساء الأمريكان ذكاءً ، ففي عام ٢٠٠٦ أجرى البروفيسور دين سيمونتون (Dean Keith Simonton) استاذ علم النفس في جامعة كاليفورنيا ، بحثاً علمياً لمعرفة معدل ذكاء رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية . ووفقا لهذه الدراسة فقد احتل بوش المركز الثاني بين الرؤساء الأقل ذكاءً في حين جاء الرئيس يوليسيس جرانت (Ulysses S. Grant) ١٨٦٩ – ١٨٧٧ في المركز الاول (٣٢) . بينما أكدت دراسة أخرى أجراها معهد لوفنستين وهو من المعاهد المعروفة والمتخصصة في هكذا نوع من الدراسات في ولاية بنسلفانيا أن الرئيس بوش الابن هو الأقل ذكاءً بين جميع الرؤساء الامريكيين (٣٣) . إن وجود رئيس بهذه المواصفات سيشكل بالتأكيد فرصة سانحة لنائبه لممارسة نفوذ كبير داخل الإدارة وبخاصة إذا كان هذا النائب يتمتع بخبرة ونفوذ وقوة تشيني .

ثالثاً : دور تشيني في صنع السياسة الخارجية

نظراً لكل هذه العوامل والمعطيات فقد تمتع تشيني بنفوذ غير مسبوق في إدارة بوش الأبن وهناك قول ينسب للأخير يعكس ويبين حجم ذلك النفوذ ومما جاء فيه "عندما تتكلم مع ديك تشيني فأنك في الواقع تتحدث معي ، وعندما يتحدث ديك تشيني فهذا يعني أنه أنا الذي يتحدث"[٣٤]، وبالفعل فقد كان تشيني هو الصانع والمحرك الحقيقي للسياسة الخارجية وفي هذا الصدد يقول مؤرخ الرئاسة في جامعة رايس (Rice University) دوغلاس برينكلي (Brinkley) تشيني ظاهرة متفردة في التاريخ الاميركي ، إنه يمثل المحور في صنع السياسة الخارجية داخل البيت الابيض، وكل الأشياء تمر من بوابته " بينما يقول ريتشارد بيرل (Richard Perle)، المسؤول السابق بالبنتاغون في عهد ادارة الرئيس الاسبق رونالد ريغان ورئيس هيئة السياسات الدفاعية التي تقدم الاستشارات للبنتاغون "لم أر في حياتي نائباً للرئيس يتمتع بهذا القدر من الثقة من قبل

رئيسه، إذ كانت العادة أن يكون نائب الرئيس أقل نفوذاً من مساعدي الرئيس الكبار"[٣٥]. وقد عدته الكثير من وسائل الإعلام والمراقبين السياسيين أقوى نائب رئيس في التاريخ الأمريكي[٣٦]، وأنه يستحق لقب رئيس الوزراء أو نائب الملك [٣٧]، بينما عده البعض رئيساً بالنيابة وليس نائباً للرئيس[٣٨].

وبشكل عام يمكن القول أن تشيني كان هو الصوت المهيمن في طرح خيارات السياسة الخارجية أمام الرئيس ، وكان دوره أكبر من دور وزارة الخارجية ومستشارية الأمن القومي وبخاصة أنه كان على تماس مباشر مع الرئيس وكان يلتقي به بشكل شبه يومي ، هذا فضلاً عن أن فريق موظفي تشيني كان يضم أفضل الخبراء والمستشارين في قضايا السياسة الخارجية ومع أن عدد أعضاء هذا الفريق لا يتجاوز (١٣) عضوا، إلا أنه يتمتع بخبرة كبيرة فيما يتعلق بالنقاط الساخنة في السياسة الخارجية، ويحرص أعضاؤه على الحضور والتواجد في المشهد السياسي الأمريكي وفي الاجتماعات والمناقشات التي تتعلق بالسياسة الخارجية[٣٩].

كذلك قام ديك تشيني بتأسيس ما يمكن اعتباره مجلساً للأمن القومي خاص به وتابع له يتألف من مجموعة من السياسيين والخبراء القريبين من أفكاره أو من التابعين لتيار المحافظين الجدد ، وكان مقر المجلس في مكتبه ومهمته الأساسية هي توفير وتقديم المعلومات والتحليلات التي تخدم أهدافه وأهداف المحافظين الجدد ، وتسهل لهم الوصول إلى مبتغاهم بتوسيع ما يعرف بالحرب ضد الإرهاب إلى أقصى مدياتها ، وكان يرأس ويدير هذا المجلس لويس ليبي وايرك ادلمان ، وقد تنامى نفوذه بشكل كبير بحيث انه أصبح ينافس مجلس الأمن القومي الأمريكي ، وأصبحت معلوماته وتحليلاته وتوصياته تؤخذ بنظر الاعتبار وتساهم في صنع القرار السياسي الأمريكي[٤٠]، وبخاصة أن تشيني كان آخر شخص يتكلم معه الرئيس بوش الابن ويستشيره قبل اتخاذ القرار النهائي ، ووفقا لما أوردته صحيفة (News Week) في السابع عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر

٢٠٠٣ فانه في كل يوم خميس يتم عقد اجتماع لا يضم سوى تشيني وبوش ، ومحتويات الاجتماع تكون سرية جدا ولا احد يطلع عليها ، ومن الطبيعي أن تشيني كان يقدم لبوش النتائج التي يتوصل إليها مجلس الأمن القومي التابع له[٤١].

وعلى أية حال يمكن معرفة حجم الدور الذي لعبه تشيني في رسم وتوجيه السياسة الخارجية لإدارة بوش من خلال إجراء نوع من المقارنة بين أفكار تشيني وتوجهاته من جهة وطبيعة وتوجهات تلك السياسة من جهة أخرى . لقد ذكرنا سابقاً أن تشيني ينتمي إلى أصحاب المشروع الامبراطوري ، فكان يرى أن تحقيق الهيمنة الأمريكية على المستوى العالمي هو الهدف الرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية، وأن الوصول إلى هذا الهدف لن يتم إلا عن طريق إنشاء وإدامة ترسانة عسكرية جبارة لا يمكن مضاهاتها أو تحديها من قبل أي منافس آخر ، مع الاستعداد الدائم لاستخدام القوة من أجل تحقيق ذلك الهدف وسحق وتدمير أية قوة تعرقله أو تحاول إجهاضه . وهو يستند في هذه الأفكار إلى عدة مبررات كالمبرر الاستراتيجي الذي ينظر إلى العلاقات الدولية بوصفها علاقات صراع وتنافس أكثر من كونها علاقات تعاون وتكامل البقاء فيها للأقوى والأقدر ، والمبرر الواقعي الذي يرى في الهيمنة المطلقة الطريقة الأفضل لحماية وإدامة وتطوير المصالح الأمريكية على المستوى العالمي، والمبرر الأخلاقي والذي يدور حول أفضلية النموذج الامريكي على سواه من النماذج الأخرى وصلاحيته لكل المجتمعات والثقافات، وإن استلهام هذا النموذج والخضوع له من قبل شعوب العالم سيصب في مصلحتها على اعتبار أن القيادة الأمريكية للعالم هي قيادة خيِّرة وهي التي ستوصل البشرية لبر الأمان .

لقد حاول تشيني خلال مسيرته المهنية ورحلته السياسية دفع الإدارات المتعاقبة والمسؤولين السياسيين باتجاه تبني تلك الرؤى والأفكار ، حيث عمل مع زميله رامسفيلد على دفع إدارة فورد (١٩٧٣–١٩٧٧) إلى اتخاذ بعض القرارات

والاجراءات التي تخدم توجهاتهم ومنها استبدال عدد من العناصر المعتدلة في تلك الإدارة بأخرى متشددة[٤٢]، وتأسيس ما عرف بالفريق (ب) (Team B) عام ١٩٧٥ وهو عبارة عن وحدة استخباراتية تعمل بشكل مستقل عن وكالة المخابرات المركزية (CIA) مهمتها الوصول إلى معلومات وتحليلات واستنتاجات تدفع باتجاه تبني سياسات متشددة جداً إزاء الاتحاد السوفيتي وحلفائه واستبعاد أية إمكانية للتقارب والوفاق[٤٣]. وقد كان تشيني نفسه عضواً في ذلك الفريق[٤٤]. وعندما تولى منصب وزير الدفاع في إدارة بوش الأب عمل على دفعها باتجاه تبني فلسفة قائمة بمجملها على فكرة أن الولايات المتحدة الأمريكية التي تحملت أعباء الحرب الباردة وانتصرت فيها ، يجب أن تفرض هيمنتها على العالم بأسره وأن لا تسمح لأية قوى بتحديها أو منافستها[٤٥]. كذلك تم بإشرافه إعداد مسودة لمجموعة من الإرشادات والأهداف الاستراتيجية العسكرية التي تسمى (توجيه التخطيط الدفاعي) والذي تعده وزارة الدفاع الأمريكية بشكل روتيني كل بضع سنوات[٤٦]. وقد ركزت هذه المسودة على ضرورة تبني عقيدة وسياسة عسكرية جديدة تهدف إلى إبقاء وإدامة وتطوير السيادة الأمريكية المطلقة ، ومنع ظهور أي منافسين أو متحدين في المستقبل المنظور على الأقل ، واستخدام الضربات الوقائية للقضاء على أية توجهات عدائية قد تصدر من أعداء الولايات المتحدة ، وعليها أن تستخدم القوة في سبيل تحقيق هذه الأهداف حتى لو اضطرت إلى استخدامها بشكل منفرد[٤٧]. وقد أدى تسرب بعض هذه الأفكار إلى الصحف الأمريكية إلى إثارة جدل كبير فأمر البيت الأبيض وزير الدفاع تشيني بإعادة صياغتها ، وفي المسودة الجديدة تم استبعاد هذه الأفكار والطروحات المتشددة[٤٨].

إلا أن هذه الأفكار عادت لتظهر بقوة وتفرض سطوتها على توجهات السياسة الخارجية لإدارة بوش الابن، فمنذ الأيام الأولى لعمل الإدارة تم التركيز على الملفات والقضايا التي تخدم تلك الأفكار وكان على رأسها قضية العراق،

ووفقا لما ذكره مسؤولون كبار في إدارة بوش الابن فان تلك الإدارة وبدعم من المحافظين الجدد في داخل السلطة وخارجها كانت منشغلة منذ أيامها الأولى بقضية العراق وكيفية الإطاحة بنظامه السياسي السابق، إذ أكد وزير الخزانة في إدارة بوش الابن بول اونيل (Paul O'Neill) أن بوش الابن وأركان إدارته كانوا منشغلين بالعراق منذ اللحظة الأولى لتوليهم السلطة[٤٩]، وباشروا بالبحث عن الوسائل والذرائع التي تمكنهم من احتلال العراق[٥٠]. وأكدت الوثائق التي تم نشرها بموجب قانون حرية تداول المعلومات أن نائب الرئيس تشيني وفريقه كانوا منهمكين في التحضير لاحتلال العراق قبل وقوع هجمات سبتمبر بمدة طويلة ، ومن الجدير بالذكر أن تشيني كان من المؤيدين والداعمين لإسقاط النظام العراقي منذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ عندما كان يشغل منصب وزير الدفاع[٥١]. وكان مكتب الخطط الخاصة التابع لوزارة الدفاع قد أعد بالفعل ومنذ بداية صيف عام ٢٠٠١ خطة للإطاحة بالنظام العراقي السابق من خلال تدبير انقلاب مدعوم من قبل واشنطن[٥٢].

وفي خضم السعي المحموم من قبل أركان إدارة بوش ومحاولاتهم المستميتة لتطبيق أفكارهم ورؤاهم الامبراطورية وقعت أحداث سبتمبر عام ٢٠٠١ والتي كانت بمثابة ساعة الصفر لانطلاق تلك الأفكار من عقالها ابتداءً بغزو واحتلال أفغانستان الذي كان تشيني من أكثر الداعمين له ، ومن ثم الانتقال للمرحلة الأهم وهي التخطيط لغزو واحتلال العراق . وبالرغم من أن تركيز تشيني واهتمامه الأكبر كان منصباً على العراق إلا أنه أراد البدء بأفغانستان نظراً لكونها المتهم الأول بمساعدة وإيواء الجماعات التي نفذت هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر عام ٢٠٠١ وفي هذا الصدد يقول تشيني " إن أفغانستان ، حيث تدرب الإرهابيون وتآمروا ، يجب أن تكون الأولى . كنت مؤمناً بأن من المهم أن تتم معالجة التهديد الذي كان العراق يشكله ، ولكن بعد وضع خطة فعالة للإجهاز على الطالبان وحرمان القاعدة من أي ملاذ آمن في أفغانستان " . وقد قال تشيني

هذا الكلام في اجتماع لمجلس الأمن القومي الذي عقده الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بعد اربعة أيام من هجمات سبتمبر ، وقد انتصرت في النهاية وجهة نظر تشيني على الرغم من أنه كان هناك وجهات نظر أخرى داخل الإدارة الأمريكية لا تتفق مع رأي تشيني[٥٣]. وبعد أن تم احتلال أفغانستان بدأ تشيني يدفع الإدارة باتجاه تبني الخيار العسكري في التعامل مع العراق

لقد كان تشيني يحث منذ عام ٢٠٠١ على اعتبار العراق العدو الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، وطالب باستخدام كل الوسائل الضرورية ضده بضمنها الاجتياح العسكري[٥٤]، وفي السادس والعشرين من آب / أغسطس عام ٢٠٠٢ لمح تشيني إلى أن العراق يمتلك القدرة النووية التي يمكن أن تشكل تهديداً مباشراً للولايات المتحدة الأمريكية وللسلم العالمي بعامة[٥٥]، وطالب بشن حرب وقائية ضده[٥٦]. وفي أيلول / سبتمبر عام ٢٠٠٢ قال تشيني في مقابلة تلفزيونية: "إننا نعرف الآن وبكل تأكيد أنه – أي العراق – قد اشترى المعدات اللازمة لتخصيب اليورانيوم لصنع سلاح نووي، وليس هناك من شك بأن صدام حسين يمتلك الآن أسلحة الدمار الشامل، وانه يحشدها لاستخدامها ضد أصدقائنا وحلفائنا وضدنا"[٥٧]، وفي السادس عشر من آذار عام ٢٠٠٣ ظهر تشيني على شبكة (NBC) الإخبارية وقال بكل صراحة انه ليس هناك شيء يمكن أن يفعله صدام لتجنب الحرب ، ودعم فكرة الحرب الوقائية ليس ضد العراق فحسب بل ضد أية أمة أو مجموعة من الأمم يمكن أن تتحدى تفوق الولايات المتحدة وهيمنتها العالمية ، وكرر التهم السابقة عن وجود علاقات قديمة ووثيقة مع تنظيم القاعدة ، وقال: "إن الموضوع مسألة وقت قبل أن يزود صدام حسين بن لادن بأسلحة الدمار الشامل البيولوجية والكيمياوية"[٥٨]. هذا فضلا عن الضغوط التي مارسها تشيني على وكالة المخابرات المركزية من اجل إيجاد دلائل وبراهين تثبت اتهامات ومزاعم الإدارة حول العراق[٥٩].

لم تكن الحرب على العراق واحتلاله سوى البداية لسياسة أمريكية متشددة تجاه المنطقة العربية بشكلٍ عام، وهي سياسة مطابقة لآراء وتوجهات تشيني التي طالما نادى بها وروَّج لها . فما أن انتهت الحرب على العراق حتى بدأت واشنطن بتنفيذ اجندتها الرامية إلى تأسيس امبراطورية امريكية تحكم وتوجه كل تفاعلات القرن الحادي والعشرين وبدون منافسة ، وتحقيق مثل هذا الهدف لا يمكن أن يتم بدون فرض السيطرة والهيمنة الكاملة على منطقة الشرق الاوسط . وانطلاقاً من هذه الفلسفة بدأت الإدارة – وتحت ذريعة مكافحة الإرهاب – بمحاولة فرض رؤاها ومشاريعها الاصلاحية على الكثير من الدول العربية سواء المصنفة ضمن خانة الأصدقاء أو الاعداء ، فتمت مطالبة دول مثل السعودية ومصر والضغط عليها باتجاه اتخاذ خطوات اصلاحية على المستويين السياسي والاقتصادي . وكان تشيني من أكثر الداعين والمنادين بالمشاريع الإصلاحية وقد تطرق إلى هذه القضية في أكثر من مناسبة ، ففي الخطاب الذي ألقاه يوم التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ أمام الجمعية الأمريكية لمحرري الصحف – وفي معرض رده على أحد الصحفيين – أشار تشيني إلى ضرورة تبني وتنفيذ دول المنطقة للمشاريع الإصلاحية الاقتصادية والسياسية والتربوية، وإنه يجب على الدول المجاورة للعراق أن تعي أن الولايات المتحدة الأمريكية تضع قضية الإصلاح في مقدمة أولوياتها[٦٠]. ومما له دلالته ومغزاه الذي لا يخفى على أحد أن هذا الخطاب جاء في اليوم ذاته الذي تم فيه الاحتلال الأمريكي للعراق . وأعاد تشيني التأكيد على ضرورة الإصلاح في المنطقة العربية في التصريحات التي أدلى بها في منتدى دافوس في كانون الثاني عام ٢٠٠٤[٦١]. وقد نتج عن هذه الضغوط الأمريكية بعض التغيير والحراك السياسي والفكري داخل بعض الدول، إلا أن الغرض منه كان إرضاء واشنطن أكثر من كونه تغيير واصلاح حقيقي .

أما بالنسبة للدول المناوئة أو المصنفة ضمن خانة الأعداء فقد كانت الخطوات الأمريكية أكثر عدائية واللهجة أكثر تشدداً وكانت سوريا على رأس تلك

الدول إذ طالب بعض أركان إدارة بوش باحتلالها وفرض السيطرة الامريكية المباشرة عليها ، وكان تشيني من أكثر عناصر الإدارة تشدداً تجاه سوريا ووجه إليها جملة من الاتهامات أبرزها إرسال وتسهيل عبور المقاتلين الأجانب للعراق لاستهداف القوات الأمريكية ، ودعمها المستمر لحزب الله[٦٢]، ودورها في زعزعة استقرار لبنان والاعتداء على سيادته ، وتحالفها مع إيران التي عدتها واشنطن واحدة من دول محور الشر فضلاً عن العراق وكوريا الشمالية[٦٣]، وسعيها لامتلاك أسلحة الدمار الشامل من خلال التعاون مع كوريا الشمالية هذا التعاون الذي أثمر عن بناء مفاعل نووي في مدينة دير الزور السورية والمعروف بمفاعل الكبر . وقد طلب تشيني من الرئيس بوش توجيه ضربة جوية لهذا الموقع إلا أن بوش تردد في اتخاذ مثل هذا القرار[٦٤]، وفي عام ٢٠٠٧ قامت إسرائيل بقصف الموقع وتدميره[٦٥].

لقد أثمرت جهود تشيني إذ تبنت الإدارة الأمريكية معظم أفكاره وطروحاته تجاه سوريا وطالبت القيادة السورية رسمياً بالتوقف عن دعم وإيواء المنظمات التي تصنفها الولايات المتحدة منظمات ارهابية مثل حركة حماس ، والجهاد الإسلامي ، وحزب الله ، وإغلاق مكاتب المنظمات الفلسطينية ، والخروج من لبنان ، فضلاً عن اتهامها بالسعي لتصنيع وامتلاك أسلحة الدمار الشامل[٦٦]. وعلى أية حال لم تكتف الإدارة الأمريكية بالمطالبات وبلغة التهديد والوعيد بل عمدت إلى تنفيذ تهديداتها حيث أقر الكونجرس في الحادي عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣ قانون محاسبة سوريا واستقلال لبنان الذي صادق عليه الرئيس بوش في الحادي عشر من أيار/ مايو ٢٠٠٤[٦٧]. وبموجب هذا القانون فرضت الكثير من العقوبات على سوريا تتعلق بتجميد الأرصدة المالية وحظر تصدير الأسلحة الكثير من البضائع والسلع[٦٨]. الضغوط ذاتها تمت ممارستها على لبنان إذ لوحت واشنطن بالعقوبات والضغوط الاقتصادية في حال عدم تعاون لبنان سواء فيما يتعلق بملف حزب الله أو ملف الإصلاحات الاقتصادية والسياسية وكان

هناك رأي في الإدارة الأمريكية يطالب بإضافة لبنان على لائحة الدول المستهدفة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية[٦٩]. أما فيما يتعلق بالصراع العربي–الإسرائيلي فقد لعب تشيني دوراً مهماً ومتميزاً يصب في صالح اسرائيل، إذ وبحسب مسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية فأن تشيني هو الذي رجح كفة المطالبة بإزاحة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، كشرط لتأييد الولايات المتحدة لقيام دولة فلسطينية، وذلك في خطاب الرئيس بوش حول الشرق الاوسط في حزيران / يونيو ٢٠٠٢ . ويقول المسؤولون أن تشيني يقف بالضد من مواقف وآراء وزير الخارجية كولن باول ، وكان باول يدعو الى استمرار التعاون مع عرفات والى عقد مؤتمر يعيد العملية التفاوضية في الشرق الاوسط الى مسارها الطبيعي[٧٠]، إلا أن تشيني وقف بالضد من هذا التوجه ومارس ضغطاً مباشراً على باول للتخلي عنه وتبني سياسة أكثر تشدداً[٧١].

أما على المستوى الدولي فقد اتخذت إدارة بوش الابن خطاً متشدداً وتصعيدياً يهدف إلى فرض الهيمنة الأمريكية وإجبار المنافسين الدوليين على الانصياع لإرادة واشنطن ورغباتها ، وقد كانت أولى الخطوات في هذا السبيل إعلان الرئيس جورج بوش الابن في خطابه الذي ألقاه أمام جامعة الدفاع القومي في واشنطن في أول أيار ٢٠٠١ عن تصميم الإدارة الأميركية على تطوير ونشر النظام القومي للدفاع المضاد للصواريخ (NMD). ويتضمن هذا البرنامج التسليحي الضخم جداً، الدفاع عن أراضي ومصالح الولايات المتحدة الأميركية ، ومهاجمة وتدمير الصواريخ الباليستية عابرة القارات (ICBM) الاستراتيجية المعادية، سواء كانت ذات رؤوس نووية أو جرثومية ، باختصار إنه "درع مضاد للصواريخ" [٧٢]. وكان تشيني من أكثر الداعمين لهذا البرنامج وقد تطرق إليه في مذكراته قائلاً: "بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة ، وجدت الولايات المتحدة نفسها في مواجهة تهديدات جديدة . عدد الدول المتوفرة على تكنولوجيا الصواريخ الباليستية كان متنامياً ، وبينها كانت أنظمة مارقة مستعدة

لنقل وربما استخدام قدراتها . تعين علينا أن نكون قادرين على بناء منظومات مؤهلة لاعتراض أي صواريخ آتية إذا أردنا الحفاظ على أمن الوطن ، غير أن معاهدة الصواريخ الباليستية المضادة لم تكن لتسمح لنا بذلك"[٧٣].

لقد كان من المفترض أن يتم نشر هذا الدرع الصاروخي في دول شرق أوربا مثل بولندا ورومانيا والتشيك فضلاً عن تركيا، والهدف من إنشائه – بحسب المسؤولين الأمريكان – هو حماية الولايات المتحدة من أي تهديد صاروخي من قبل الدول المعادية أو (المارقة) والمتمثلة بكوريا الشمالية وإيران ، وإن هذا الدرع لا علاقة له بروسيا مطلقاً . بينما روسيا لم تكن مقتنعة بالمبررات التي ساقتها الولايات المتحدة الأمريكية وكانت ترى في الدرع تهديد مباشر لها ولمصالحها الاستراتيجية في المنطقة[٧٤].

وبالرغم من أن وزارة الخارجية الأمريكية لم تكن موافقة مطلقاً على السياسة التي اقترحها تشيني والقاضية بالانسحاب من معاهدة حظر انتشار الصواريخ البالستية (ABM)، إلا أن الرئيس جورج بوش الابن أعلن في الثالث عشر من كانون الأول عام ٢٠٠١ انسحاب الولايات المتحدة من المعاهدة[٧٥]. لقد تم عقد هذه المعاهدة عام ١٩٧٢ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي عندما كان العالم يخضع لنظام القطبين ، وانسحاب واشنطن منها يعني أنها لم تعد تنظر لموسكو بوصفها ند وأنها تريد أن تدشن عالماً أحادي القطبية لا يتسع سوى لدولة مهيمنة واحدة وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، ومثل هذه المعاهدات تقف عائقاً في طريقها . كذلك فأن هذا السلوك الأمريكي يؤكد توجه الولايات المتحدة للتصرف بشكل أحادي بوصفها القوة العظمى الوحيدة في العالم، وبأنها لم تعد بحاجة أو لم تعد مضطرة للالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية، فهي التي تضع الخطط وترسم الاستراتيجيات وتحدد المسالك وعلى الآخرين الالتزام بها، وهو الهدف الذي يسعى اليه تشيني وباقي أركان إدارة بوش الابن . لذلك لم تبد واشنطن أي اهتمام للمخاوف والاعتراضات التي أبدتها الكثير من الأطراف

الدولية ومن بينها حلفاؤها في حلف شمال الأطلسي حول مشروع الدرع الصاروخي . وفي هذا السياق أعلن تشيني بأن الإدارة الأميركية الجديدة لن تسمح لأحد أن يملي على الولايات المتحدة الأميركية ما الذي يجب أن تفعله من اجل ضمان المصالح الذاتية بهدف إملاء سياستها على العالم بأسره ابتداء بأميركا اللاتينية وصولاً إلى العالم العربي(٧٦).

كذلك كان حضور تشيني طاغياً في ملف كوريا الشمالية وكيفية التعامل معها فكان هو الموجه الحقيقي للسياسة الأمريكية تجاه بيونغ يانغ وملفها النووي، بحيث أن الرئيس بوش الابن كان يقول لمساعديه ومستشاريه " لن أوقع أي شيء حتى يكون نائب الرئيس قد ذيَّله بتوقيعه ، راجعه مع تشيني حين يكون سعيداً به سأكون أنا سعيداً به"(٧٧). وكان تشيني من أشد المعارضين للجهود التي بذلتها وزارة الخارجية الأمريكية للتوصل إلى تسوية مع كوريا الشمالية ، وتمكن بالفعل من إجهاض تلك الجهود ومن دفع الإدارة الأمريكية إلى تبني سياسة متشددة وغير مهادنة ، وقد حاول مكتب نائب الرئيس ومن خلال نشر عدد من الوثائق والصور إثبات قيام كوريا الشمالية بدعم جهود النظام السوري في الحصول على أسلحة الدمار الشامل(٧٨). وقد انتصر في النهاية الخط المتشدد الذي تبناه وروَّج له تشيني، إذ بقيت العلاقات بين واشنطن وبيونغ يانغ في أعلى درجات التوتر والعداء.

أما عن العلاقة مع الأمم المتحدة فقد تأثرت هي الأخرى تأثراً كبيراً بالخط المتشدد والسياسة الأحادية لإدارة بوش الابن. في آذار/ مارس عام ٢٠٠٣ كتب ريتشارد بيرل مقالاً في جريدة الغارديان تحت عنوان "الحمد لله على موت الأمم المتحدة" هاجم فيه المنظمة الدولية واعتبر أنها لم تعد صالحة لمسايرة ومواكبة التطورات والتغيرات التي طرأت على الساحة الدولية وأنها أصبحت عاجزة عن تحقيق الأمن الدولي ومواجهة المخاطر التي تهدد السلام والاستقرار، وبأن نهايتها وموتها غدت قاب قوسين أو أدنى(٧٩). ولم يكن بيرل في هذا المقال يعبر عن رأيه فحسب بل يعبر عن قناعات التيار المسيطر على إدارة بوش الابن والذي

يتزعمه تشيني والذي كان يعتقد أن منظمة الأمم المتحدة أصبحت منظمة بالية تعكس مصالح وأوزان القوى التي ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ولا تعكس الواقع الذي تبلور بعد الحرب الباردة أي واقع العالم الخاضع لفلسفة وإرادة القطب الأوحد لذلك عليها أن تختفي أو تتغير بشكل جذري لتلائم الواقع الجديد ولتعبر عن مصالح وتوجهات واستراتيجيات الولايات المتحدة أي تصبح وكأنها إدارة ملحقة بالخارجية الأمريكية .

كان النموذج الأبرز والأكثر تعبيراً عن الاستخفاف الامريكي بالأمم المتحدة وبمجلس الأمن هو الغزو الأمريكي للعراق واحتلاله عام ٢٠٠٣ ، فعلى الرغم من أن الإدارة الأمريكية بذلت جهوداً كبيرة من أجل الحصول على تفويض دولي لهذا الغزو إلا أن الأمم المتحدة رفضت هذا التوجه الأمريكي وأرادت تجنب الحرب من خلال إعطاء فرصة أخرى لفرق التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل لكي تعود إلى العراق وتستأنف عملها ومن ثم يتم اتخاذ القرار استناداً إلى ما تتوصل اليه من حقائق . إلا أن واشنطن اعتبرت هذا السلوك ينم عن الضعف وعدم الحزم ويشجع النظام العراقي على التمادي بسياسته العدائية ، بل أن البعض من أركان إدارة بوش الابن وعلى رأسهم تشيني رأوا في التوجه للأمم المتحدة خطأً جسيماً ، واعتبروا أن حرب العراق تمثل فرصة مثالية للتخلص من ارتباط السياسة الخارجية الأمريكية بما أسموه بعبء التعددية ، لذلك قررت الإدارة الأمريكية التصرف بشكلٍ أحادي من خلال تشكيل ما عرف بـ(تحالف الراغبين) وهو تحالف دولي بعيد عن الأمم المتحدة وقراراتها ضم الدول التي وافقت على الانضمام للولايات المتحدة في مهمتها الرامية إلى غزو العراق[٨٠]، الأمر الذي شكل ضربة قوية للأمم المتحدة وللشرعية والمواثيق الدولية وكان من الممكن أن يؤدي إلى القضاء عليها بشكلٍ تام لو أن الاستراتيجية الأمريكية سارت كما هو مخطط لها ، لكن تعثر ومن ثم انهيار المشروع الأمريكي في العراق هو الذي أجبر واشنطن على العودة إلى مظلة الأمم المتحدة والاستعانة بها للخروج من المأزق العراقي .

الخاتمة

١ – إن النظام السياسي الأمريكي ما هو إلا إحدى منتجات فلسفة التنافس المسيطرة على المجتمع الأمريكي برمته وبكل تفاصيله ، لذلك كان من الطبيعي أن يصبح نظاماً تنافسياً يسيطر عليه ويرسم ملامحه الأقوى والأقدر ، ويمكن أن تؤثر فيه وتوجهه الجهود الفردية .

٢ – بالرغم من أن الدستور الأمريكي لم يخول نائب الرئيس إلا صلاحيات ومهام قليلة أهمها تولي منصب الرئيس في حال شغور المنصب لأي سبب كان ، إلا أنه من جهةٍ أخرى لم ينص على منعه من ممارسة أي دور أو نفوذ داخل الإدارة ، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه للنائب الذي يمتلك المؤهلات الكافية للتأثير في سياسة الإدارة وتوجهاتها المختلفة .

٣ – إن زيادة واتساع وتنوع المهام والمسؤوليات التي باتت تضطلع بها الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الخارجي وبخاصة خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، كان من أهم الاسباب التي أدت تزايد نفوذ نائب الرئيس وتعاظم دوره في السياسة الأمريكية بشكل عام .

٤ – إن وجود إمكانية للسيطرة على السياسة الخارجية الأمريكية وتوجيهها من قبل فرد أو مجموعة من الأفراد أو حتى من قبل تيار فكري بعينه ، يعد أمراً غاية في الخطورة والأهمية وقد يؤدي إلى كوارث ومآسي نظراً لما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية من قدرات هائلة اقتصادياً وعسكرياً .

٥ – لقد تضافرت عدة عوامل مكَّنت تشيني من ممارسة سطوة ونفوذ غير مسبوق في السياسة الخارجية الأمريكية ، أهمها خبرته السياسية الواسعة والتناغم والانسجام الفكري الكبير بينه وبين الفريق الرئاسي وقلة خبرة الرئيس بوش الابن وسطحيته .

٦ – حاول تشيني استغلال النفوذ الكبير الذي تمتع به من أجل تنفيذ المشروع الإمبراطوري القائم على الهيمنة الأمريكية المطلقة ، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل ولم تحقق أية نتيجة تذكر .

الهوامش والمصادر

١ – الدستور الأمريكي ، المادة الثانية ، الفقرة الأولى ، البنود : أولاً وخامساً وسادساً .

٢ – المصدر نفسه ، المادة الأولى ، الفقرة الثانية ، البند : رابعاً .

3 - Roy E. Brownell : The independency of the Vice Presidency , Legislation and Public Policy , Vol. 17 : 297 , 2014 , P. 305 – 306 .

4 - Ibid. P. 308 .

5 - Participation of the Vice President in the affairs of the executive branch, Memorandum for the Vice President, March 9, 1961. P.8–9 .

6 - Richard D. Friedman: Some modest proposal on the vice - Presidency, University of Michigan Law School , 1988, 86. P.1709 .

٧ – أنطوني سمرز: غطرسة القوة ، عالم ريتشارد نيكسون السري ، ترجمة : محمد توفيق البجيرمي، (الرياض : ٢٠٠٠) ، ص ٣٤١ .

٨ – للاستزادة : المصدر نفسه ، ص ٣٤١ – ٣٦٦ .

9 - Mark O. Hatfield : Vice – Presidents of the United States 1789 – 1993, (Washington: 1999), P. 522 .

10 - Jody C. Baumgartner: The Vice Presidency in the Twenty–first Century, Pepperdine Law Review, Vol. 44, September 2017, p.568.

11 - United States Senate , The Vice President's room , (No Place : No Date), P.2.

12 - Harold C. Relyea : The Vice presidency : Evolution of the modern office 1933 – 2001 , Congressional Research Service , Report for Congress , February 2001 , p. 24 -25.

13 - Baumgartner : Op. Cit. P. 567.

14 - Relyea : Op. Cit. P. 25 .

15 - Elizabeth D. Brown, John D. Graham : Leading the executive branch , Strategies and options for achieving success , (Arlington , Rand Corporation : 2007) , p. 14 .

١٦ – للاستزادة راجع الموقع الرسمي لمكتب نائب الرئيس والمتاح على الرابط :

https://www.whitehouse.gov/about-the-white-house/the-vice-presidents residence office/

17 - Relyea : Op. Cit. P. 25 .

• – ولد ريتشارد بروس تشيني عام ١٩٤١ في ولاية نبراسكا ، حاصل على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة " وايومنغ " ، وهو سياسي ورجل أعمال أمريكي ، تسنم في

حياته السياسية عدداً من المناصب أهمها وزيراً للدفاع ١٩٨٩ – ١٩٩٣ ، ونائباً للرئيس الأمريكي ٢٠٠١ – ٢٠٠٩ . يصنف ضمن فئة الصقور واليمين الأمريكي المتشدد ، وقد مارس نفوذاً غير مسبوق في إدارة جورج بوش الابن .

•• تم استحداث هذا المكتب من قبل الرئيس ليندون جونسون (Lyndon Johnson 1963 – 1969) كجزء من برنامجه المعروف باسم (المجتمع العظيم)، ذلك البرنامج القائم على تقديم المنح ومعونات التنمية الاقتصادية إلى المناطق الفقيرة والأقل دخلاً في البلاد .

18 - Relyea : Op. Cit. P. 19 .

١٩ – ديك تشيني: في زماني، مذكرات شخصية وسياسية، ترجمة: فاضل جتكر، (بيروت، دار الكتاب العربي : ٢٠١٢) ، ص ٦١ – ٦٢ .

20 - Relyea : Op. Cit. P. 19 .

21 - Barton Gellman : The Life and Career of Dick Cheney , The Washington Post , 18 December 2007 .

٢٢ – للاستزادة : تشيني : المصدر السابق ، ص ١٣٠ – ١٧٦ .

23 - Lyndon H. Larouch: Children of Satan, (Virginia: 2004).P. 36.

24 - Jane Mayer : what did the Vice – President do for Halliburton ? The New Yorker , 16 , February , 2004. Available at: https://www.newyorker.com/magazine/2004/02/16/contract-sport

25–Craig Unger: The fall of the house of Bush, The delusions of the Neoconservatives and American Armageddon, (New York: 2007), 249 .

26 - Garry Dorrien: Imperialism designs, Neoconservatism and the new pax Americana , Routhledge , (New York : 2004), P. 131 – 132 .

27 - Justin Vaisse: Why Neo-conservatism still matters, Lowy institute for international policy, (Australia: 2010), P. 240 .

٢٨ – للاستزادة راجع :

جورج دبليو بوش : مذكرات جورج دبليو بوش ، قرارات مصيرية ، ترجمة : سناء حرب ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، (بيروت : ٢٠١٢) .

٢٩ – للاستزادة راجع :

Peter Singer : The President of good and evil , (London : 2004) .

30 - Henry A. Giroux : The emerging authoritarianism in the United States : political culture under the Bush / Cheney administration , Symploke Journal , University of Nebraska , Vol. 14 , No. 1 – 2 , 2006 , P. 117 .

٣١ – يوسف العاصي الطويل : حملة بوش الصليبية على العالم الاسلامي وعلاقتها بمخطط اسرائيل الكبرى ، ج ٢ ، (بيروت : ٢٠١٤) ، ص ٩٥ .

32 - Dean Keith Simonton : Presidential IQ, Openness, Intellectual Brilliance, and Leadership: Estimates and Correlations for 42 U.S. Chief Executives , Journal of the Political psychology , Vol. 27 , No. 4 , August 2006 , PP. 511 – 526 .

٣٣ – دراسة أمريكية لأغبى رؤساء أمريكا منذ نشأتها ، جريدة البيان ، ٢٧ أبريل ، ٢٠١٨ . متاح على الرابط :

http://www.elbyan.com/دراسة-أمريكية-لأغبى-رؤساء-أمريكا-منذ-ن/

34 - United State Senate : Richard B. Cheney, 46th Vice President (2001-2009) Available at : https://www.senate.gov/artandhistory/history/common/generic/VP_Richard_Cheney.htm

٣٥ – مسؤولون أميركيون : تشيني أصبح المحرك الرئيسي للسياسة الخارجية في الإدارة الحالية ، جريدة الشرق الاوسط ، العدد ٨٦٤٥ ، ٣٠ تموز ٢٠٠٢ . متاح على الرابط : http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=115622&issueno=8645#.WzYHeyL4nIU

36 - Longmore : OP. Cit. P. 10 .

37 - Larouch : Op. Cit. P. 109 .

38 - William H. Lewis and Burton M. Sapin : Major failures of process and judgment: national security policy making in the Bush administration, Mediterranean quarterly Journal, Vol. 19, No. 1, Winter 2008 , P. 17 .

٣٩ – جريدة الشرق الأوسط ، المصدر السابق .

40 - Lewis and Sapin : Op. Cit. , p. 17 .

41 - Larouch : Op. Cit. P. 123 .

42 - Unger : Op. Cit. p. 51 – 52 .

43 - Anne Hessin Cahn : Team B , the trillion dollars experiment , Bulletin of the atomic scientists , Vol. 49 , No. 3 , April 1993 , p. 2 .

44 - Unger ; Op. Cit. p.p. 54 – 55 , 115 .

٤٥ – محمد حسنين هيكل: الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق ، دار الشروق ، (القاهرة : ٢٠٠٣) ، ص ١١٦ .

46 - Justin Vaisse: Neoconservatism , The biography of a movement, translated by: Arthur Goldhammer, Harvard University press, (U.S.A. : 2008) , P. 224 .

47 - Department of Defense , Draft defense planning guidance , principal deputy under Secretary of Defense , 18 February 1992 .
48 - John Longmore: The Bush foreign policy revolution, it's origins, and alternatives, Global policy forum Journal, August 2004, P.10–11 .
49 - Earl Shorris : Leo Strauss , George Bush and the philosophy of mass deception , Harpers Magazine , June 2004 , P. 9 .Available at : https://harpers.org/archive/2004/06/ignoble-liars/
٥٠ – بوب ودورد : بوش محاربا ، تعريب : سمر القاضي ، مكتبة العبيكان ، (الرياض : ٢٠٠٣) ، ص ١٢٠ – ١٢١ .
51 - Larouch : Op. Cit. P. 124 .
52 - Seymour M. Hersh : The stovepipe , The New Yorker Magazine , 27 October 2003. Available at : https://www.newyorker.com/magazine/2003/10/27/the-stovepipe
٥٣ – تشيني : المصدر السابق ص ٣٧٣ – ٣٧٥ .
54 - Michael Mann: The first failed empire of the 21st century, Review of international studies, Vol. 30, No. 4 , October 2004 , P. 649 .
55 - Hersh : Op. Cit.
56 - Robert A. Pape : Soft balancing against the United States , International security Journal, Vol. 30, No. 1 , Summer 2005, P. 38 .
57 - Kathleen Hall Jamieson : Justifying the war in Iraq : what the Bush administration's uses of evidence reveal , Rhetoric and public affairs Journal , Vol. 10 , No. 2 , Summer 2007 , P. 250 .
58 - Larouch : Op. Cit. P. 29 .
59 - Jonah Gassidy : Blame game , The New Yorker Magazine , 9 February 2004 .
60 - Text of Speech by Vice President Cheney , The New York Times , 9 April 2003 . Available at : https://www.nytimes.com/2003/04/09/international/worldspecial/text-of-speech-by-vice-president-cheney.html
61 - The White House , Remarks by the Vice President to the World Economic Forum . Available at : https://georgewbushwhitehouse.archives.gov/news/releases/2004/01/20040124-1.html
62 - Mark Danner : In the Darkness of Dick Cheney . Available at: https://www.huffingtonpost.com/mark-danner/in-the-darkness-of-dick-cheney_b_4766475.html
٦٣ – تشيني : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ – ٥٤٠ .
64 - Charle Savage : Cheney Says He Urged Bush to Bomb Syria in '07 , NEW York Times , 24 August 2011 . Available at: https://www.nytimes.com/2011/08/25/us/politics/25cheney.html

٦٥ – إسرائيل تعترف بقصف مفاعل «الكبر» النووي في دير الزور لـ«تحذير» إيران ، جريدة الأنباء ، ٢٢ آذار ٢٠١٨ . متاح على الرابط :

http://www.alanba.com.kw/ar/arabic-international-news/syria-news/820409/22-03-2018-إسرائيل-تعترف-بقصف-مفاعل-الكبر-النووي-دير-الزور-لـتحذير-إيران

66 - Gary C. Gambil: American sanction on Syria: A diplomatic masterstroke. Middle East intelligence bulletin , Vol. 6, No. 5, May 2004 .

67 - Executive order 13338 – blocking property of certain persons and prohibiting the export of certain goods to Syria , 11 May 2004 .

68 - Gambil : Op. Cit.

69 - Unger : Op. Cit. P. 290 .

٧٠ – جريدة الشرق الأوسط ، المصدر السابق .

٧١ – تشيني : المصدر السابق ، ص ٤٢٦ – ٤٢٧ .

72 - Stephen J. Flanagan: Strategic challenges for the Bush administration, (Washington : 2001) .

٧٣ – تشيني المصدر السابق ، ص ٣٦٦ .

٧٤ – الدرع المضاد للصواريخ بين الحلم الأميركي والرفض الروسي الصيني . متاح على الرابط :

https://www.turess.com/alwasat/5218 .

٧٥ – تشيني : المصدر السابق ، ص ٣٦٧ .

٧٦ – الدرع المضاد للصواريخ ، المصدر السابق .

٧٧ – تشيني : المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .

78 - Philip Sherwell : Dick Cheney 'tried to block North Korea nuclear deal' , The Daily Telegraph , 28 July , 2008 . Available at : https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/northamerica/usa/2211928/Dick-Cheney-tried-to-block-North-Korea-nuclear-deal.html

79 - Richard Perle : Thank God for the death of the UN , The Guardian , 21 Mar , 2003. Available at: https://www.theguardian.com/politics/2003/mar/21/foreignpolicy.iraq1

80 - Strobe Talbott: War in Iraq, revolution in America , International affairs , Vol. 79 , No. 5 , October 2003 , P. 1-42 .